

قَدْر السَّفِينَة

نور الدين محقق

في مرآة الحبر
أو في حبر المرأة
يجلس الغراب
كما يريد بورخيس
في متاهاته ومراياه...
أو كما يرسمه مجاناً
بعض الفنانين في الحانات
وهم سكارى ...
أو كما يراه بعض الكتاب
في توهماتهم وهم حيارى
أو أشباه حيارى ...
يجلس الغراب
فوق رأس الشاعر
والفراشات تظل
تحلق بالقرب منه
ولا تفارق ظله ...
والشاعر كعادته مشغول جداً
بكتابة قصيدته
التي تأبى الحضور...
وهو مُنزوٍ وحيدا
في سفينة نوح
أو هكذا كان يتخيل
على عادة الشعراء :
إدغار آلان بو
سركون بولص
وأنا أيضا في هذه القصيدة ...
النملة لا تخشى الفيل
والفيل يرسم بحرطومه
مثل ليوناردو دافنشي
امرأة على وشك الابتسام
تكاد أن تشبه الموناليزا...
والحمامة تحلق بعيدا فوق المياه ...
وشجرة الزيتون تترأى لها
من بعيد ...
وهي مسكونة بالنور...
آه ما أجمل فعلا هذا النور...!

القط يتأمل الفأر في سكون ...
والفأر الألمعي يبحث عن قطعة جبن
ويتظاهر ساخرا بالجنون ...
والثعلب يرى العنب
مرسوما على الجدار ...
والذئب يعوي وحيدا
في زاوية منعزلة...
والسفينة ملأى بالحياة
وهي تصارع الأمواج
باحثة عن اليابسة...
كل الخلائق كانت تُريد الخلاص
وحده كان الشاعر يبحث عن قصيدته
وعن مشعل النار
كي ينير الطريق إلى باب الحرية ...
والغراب والحمامة،
حين التقيا من جديد ...
ظلا صامتين وهما ينظران إليه
من الناحية البعيدة ...
من الناحية القصية ...
ينظران إليه في دهشة وإعجاب ...
ولا يبتعدان عن شجرة أحلامه
شجرة الفتنة والغواية والغياب...
والشاعر كأنه في سبات ...
كأنه بين الحياة وبين الممات ...
يبحث عن كتابة قصيدته ...
وعن مشعل النار ...
وعن باب الحرية ...
والسفينة تمشي وتمشي
وهي تصارع الأمواج...